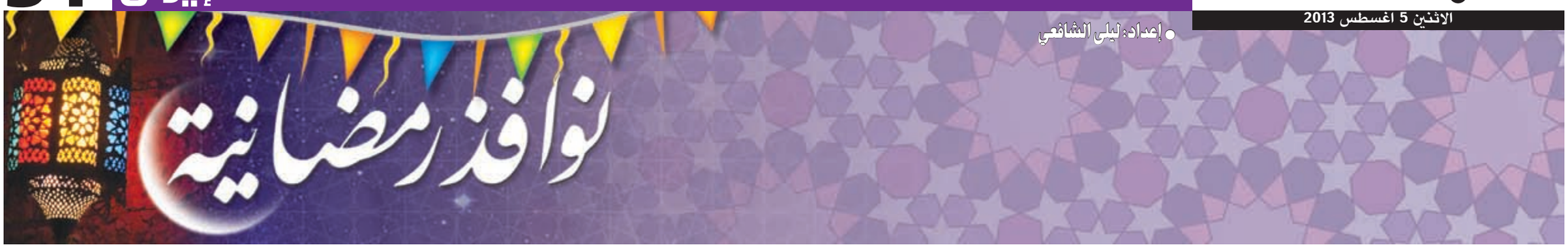

● إعداد: ليلى الشافعي

عودة إلى الله

دين الفطرة
سفير ألمانيا السابق بالجزائر مراد هوفمان

الماني نال شهادة الدكتوارة في القانون من جامعة هارفرد، وشغل منصب سفير المانيا في المغرب، في مقتبل عمره تعرض هوفمان لحادث مرور مروع، فقال له الجراح بعد ان انهى اسعافه: «ان مثل هذا الحادث لا ينجو منه في الواقع احد، وان الله يدخر لك يا عزيزي شيئا خاصا جدا».
وصدق القدر حدس هذا الطبيب اذ اعتنق د.هوفمان الاسلام بعد دراسة عميقة له، وبعد معاشرته لاخلاق المسلمين الطيبة في المغرب، ولما اشهر اسلامه حاربته الصحافة الالمانية محاربة ضارية، وحتى امه لما ارسل اليها رسالة اشاحت عنها وقالت: ليبق عند العرب.
لكن هوفمان لم يكترث بكل هذا، ويقول: «عندما تعرضت لحملة طعن وتجريح شرسة في وسائل الاعلام بسبب اسلامي، لم يستطع بعض اصدقائي ان يفهموا عدم اكتراثي بهذه الحملة، وكان يمكن لهم العثور على التفسير في هذه الآية (اياك نعبد واياك نستعين)، وبعد اسلامه ابتدأ د.هوفمان مسيرة التأليف، ومن مؤلفاته، كتاب (يوميات مسلم الماني) و(الاسلام عام الفين) و(الطريق الى مكة) وكتاب (الاسلام كبديل) الذي احدث ضجة كبيرة في المانيا.
يتحدث د.هوفمان عن التوازن الكامل والدقيق بين المادة والروح في الاسلام فيقول: «ما الآخرة الا جزاء العمل في الدنيا، ومن هنا جاء الاهتمام في الدنيا، فالقرآن يلهم المسلم الدعاء للدنيا، وليس الآخرة فقط» (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) وحتى آداب الطعام والزيارة تجد لها نصيب في الشرع الاسلامي.
ويعلل د.مراد ظاهرة سرعة انتشار الاسلام في العالم، رغم ضعف الجهود المبذولة في الدعوة اليه بقوله: «ان الانتشار العفوي للاسلام هو سمة من سماته على مر التاريخ، وذلك لانه دين الفطرة المنزل على قلب المصطفى.
«الاسلام دين شامل وقادر على المواجهة، وله تميزه في جعل التعليم فريضة، والعلم عبادة وان صمود الاسلام ورفضه الانسحاب من مسرح الاحداث، عد في جانب كثير من الغربيين خروجا عن سياق الزمن والتاريخ، بل عدوه اهانة بالغة للغرب».
ويتعجب هوفمان من انسانية الغربيين المنافقة فيكتب: «في عيد الاضحى ينظر العالم الغربي الى تضحية المسلمين بحيوان على انه عمل وحشي، وذلك على الرغم من ان الغربي ما يزال حتى الآن يسمي صلاته (قربانا) ولايزال يتأمل في يوم الجمعة الحزينة لان الرب (ضحى) بابنه من اجلنا!

موعد الاسلام الانتصار

«لا تستبعد ان يعاود الشرق قيادة العالم حضاريا، فما زالت مقولة «يأتي النور من الشرق».
صالحة
ان الله سيعيننا اذا غيرنا ما بأنفسنا، ليس بإصلاح الاسلام، ولكن باصلاح موقفنا وافعالنا تجاه الاسلام.
«الاسلام هو الحياة البديلة بمشروع ابدي لا يبلى ولا تنقضي صلاحيته، واذا رآه البعض قديما فهو ايضا حديث ومستقبلي، لا يحده زمان ولا مكان، فالاسلام ليس موجة فكرية ولا موضة ويمكنه الانتظار».

الرجال مواقف

المقداد بن الأسود رجل يحبه الله ورسوله

قال رسول الله ﷺ: «أمرني الله عز وجل بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم، علي والمقداد، وأبوذر وسلمان» ولقد ضرب الاسلام احسن الأمثلة وأقواها للحرية والاخاء والمساواة فسوى بين الحر والعبد وبين الأبيض والأسود ولم يجعل فضلا لأحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح فالناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين كبير ولا صغير ولا بين غني ولا فقير ولا بين شريف ولا وضيع.

أصاب عمرو والد المقداد دما في قومه وأصبح مطاردا طلبا للثأر فخشي على نفسه وهرب إلى حضرموت وتحالف مع قبيلة «كندة» حتى يضمن لنفسه العيش الآمن المطمئن، وتزوج من إحدى بنات القبيلة فولدت له المقداد، الذي شب ونشأ بين افراد قبيلة أمه كأحسن ما تكون النشأة، وكبر المقداد، وحدث ان وقع خلاف بينه وبين احد اصحابه فلم يتمالك المقداد نفسه وضربه بالسيف في رجله ضربة أحدثت به جرحا بليغا فتوعده وهدده فخشي المقداد منه وأوجس في نفسه خيفة وأيقن انه هالك لا محالة وان اهل المصاب لن يتركوه ينعم براحة البال أو يعرف للعيش الهادئ طعما فهرب إلى مكة وتحالف مع ابن يغوث الزهري فتبناه الأسود، ونسب اليه المقداد واصبح يطلق عليه المقداد بن الأسود وظل معروفا بين الناس بهذا الاسم إلى أن نزل قول الله تبارك وتعالى: (ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله) فرجع إلى اسمه الأول المقداد بن عمرو ولكن غلبت عليه تسميته بالمقداد بن الأسود.

سباق إلى الإسلام

وكان المقداد من أوائل المسلمين الذين صدقوا الرسول ﷺ وآمنوا بما جاء به، روي عن عبدالله بن مسعود انه قال: «إن أول من اظهر الاسلام في مكة، سبعة منهم المقداد».

وروي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن الرسول ﷺ انه قال: «لم يكن نبي الا اعطي سبعة نجباء وزراء ورفقاء واني اعطيت أربعة عشر وذكر منهم: حمزة، وجعفر، وابوبكر وعلي والحسن والحسين وابن مسعود وسلمان وحذيفة وابوذر والمقداد وبلال» وكان من الطبيعي ان تقف قريش من الدعوة الاسلامية موقف العداء السافر لأنها رأت في تلك الدعوة الخطر الداهم الذي يهدد كيانها المادي ويزعزع نفوذها الأدبي فلقد كانت الكعبة مركز عبادة الأصنام ومحج العرب، وكان زعماء قريش يستمدون مجدهم وعزهم وفخرهم وعظمتهم على سائر الناس من صلتهم بالبيت الحرام وقيامهم على حراسة الأصنام وسقاية الحجاج كما كانوا يعتبرون الكعبة مورد رزق ثابت.

وانتصار الرسول ﷺ معناه ضياع سلطانهم المادي ونفوذهم الأدبي وهما اعز ما يعتمدون عليه في حياتهم، لذلك عظم عليهم الأمر فصممت قريش على ان تقف من الرسول ﷺ وأصحابه موقف الصرامة والحزم وان تعمل على قتل الدعوة الاسلامية باضطهاد صاحبها ومن تبعه ولقد كان موقفهم من المسلمين الذين اتبعوا الرسول ﷺ وآمنوا به اشد قسوة واكثر عنفا.

ثبات على الحق

كان المقداد بن الأسود من الذين عمر الاسلام قلوبهم واطمأن الرسول ﷺ الى استعدادهم لقبول دعوته وتعرض المقداد لما تعرض له المسلمون من قسوة «قريش واضطهادها وعذابها وتفننها في التنكيل بهم فلم يرضخ لتهديد ولم يذعن لوعيد ولم يضعف ما لقيه إيمانه ولم يوهن من عزيمته هول المحنة التي عاشها بل على العكس ساعد ما شاهده وتعرض له على إذكاء الحماسة الدينية في نفسه، وعز على الرسول ﷺ ان يرى أصحابه واتباعه يتعرضون للسخرية والاستهزاء ويتجرعون العذاب والاضطهاد وهو عليه افضل الصلاة وأزكى السلام لا يملك لهم شيئا فهو يتعرض لمثل ما يتعرضون له فأشار عليهم بأن في الأرض فرارا بدينهم، فسألوه: أين نذهب؟ فأشار إلى الحبشة، ورسم المسلمون لأنفسهم خطة السير إلى الحبشة، حتى وجدت دعوة الرسول ﷺ بيئة صالحة في أرض يثرب والتي لم تلبث ان اصبحت بعد هجرة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه إليها معقلا للإسلام وملجأ لجماعة المسلمين، ثم عاد المقداد مع المهاجرين الذين رجعوا من الحبشة ولحق بالرسول ﷺ في المدينة وعاونه في نشر الدعوة الإسلامية واشترك مع الرسول ﷺ في جميع الغزوات والسرايا.

قائد بألف

واشترك المقداد في الفتوحات الاسلامية في بلاد فارس والشام وأبلى في فتح مصر بلاء حسنا فعندما سقطت قرية ام رنين في أيدي القوات الاسلامية بقيادة عمرو بن العاص وأصبحت القوات التي تحت امرته بعد المعارك التي خاضها المسلمون مع الرومان في قلة، أرسل إلى خليفة المسلمين وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب منه المدد حتى يستطيع تكملة الفتح ويخترق أسوار حصن «بابليون» فأمده الخليفة بأربعة آلاف جندي وعلى رأس كل ألف قائد من القواد يقوم مقام الألف وكتب الخليفة إلى عمرو بن العاص يقول له: «إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل، منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد»، وقد أبدى هؤلاء القواد الأربعة مع عمرو بن العاص مهارة ممتازة وكفاءة نادرة في فتح مصر لدرجة ان المسلمين قالوا ان عمر بن الخطاب أمد عمرو بن العاص بثمانية آلاف رجل لأن كل قائد من هؤلاء القواد الأربعة كان يعدل ألف جندي.

فقه ووفاء

اشتهر المقداد بالتفقه في الدين إلى جانب اشتهاره في المهارة في الحرب فروى كثيرا من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وروى عنه كثير من المسلمين الأولين، وكان المقداد وفيا أشد الوفاء لآل بيت الرسول ﷺ قد تجلى هذا الوفاء عندما توفي عمر بن الخطاب وكان قد اختار ستة من الصحابة ليتشاوروا ويختاروا من بينهم من يخلف عمر في الخلافة.

وانقسم هؤلاء الستة إلى قسمين وأصبح المسلمون فريقين: فريق يؤيد عثمان بن عفان رضي الله عنه ويرى ضرورة اختياره خليفة للمسلمين والفريق الآخر يرى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو الأحق بالخلافة وكل من الفريقين له رأيه ووجهة نظره التي يؤيد بها دعواه واختياره وعندما اجتمع المسلمون في المسجد قام سعد بن أبي وقاص ليتدارك الموقف قبل ان يستفحل الأمر العظيم ويتخذ شكلا آخر لا يرضي أحدا من الطرفين فيما بعد، وقال لعبدالرحمن بن عوف: «يا عبدالرحمن أفرغ قبل ان يفتتن الناس» وتمت البيعة لعثمان بن عفان خليفة للمسلمين على الرغم من معارضة عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وغيرهما ممن أرادوا مبايعة علي، وتوفي المقداد في السنة الثالثة والثلاثين من الهجرة بأرض له في الجرف وحمل الى المدينة وكان قد بلغ السبعين من عمره وقيل في سبب وفاته انه كان عظيم البطن وكان له غلام رومي فقال له: «أشق بطنك فأخرج منه شحمه» وتلطف مع المقداد حتى وافق على اقتراحه فشق بطنه ثم خاطه فمات المقداد وهرب الغلام.

روائع القصص

قصص في الورع

حكى لنا النبي ﷺ عن شخصين فيمن قبلنا تورعا عن شيء اكتشفاه في الأرض فاشترى رجل من رجل عقارا له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني اني اشتريت منك الأرض ولم ابتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض بما فيها، فكل منهما تورع عن أخذ الذهب، فتحاكما الى رجل عاقل فقال ألكما ولد فقال أحدهما لي غلام وقال الآخر لي جارية، قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا عليهما منه وتصدقا. (رواه البخاري ومسلم).

قصة الصحابة الذين لم يشيروا الى الصيد وهم حرم، فيقول أبوقتادة رضي الله عنه «كنا مع النبي ﷺ في القاحة ومنا المحرم ومنا غير المحرم، فرأيت أصحابي يتراءون شيئا فنظرت ـ وفي رواية أنهم ضحكوا ولكن لم يشيروا ولم يعينوا ـ فإذا حمار وحشي فوقع سوطه فقالوا لا نعينك عليه بشيء انا محرمون، فتناولته فأخذته ثم أتيت الحمار من وراء أكمة فعقرته فأتيت به أصحابي فقال بعضهم كلوا وقال بعضهم لا تأكلوا، فأتيت النبي ﷺ وهو أمامنا فسألته فقال كلوه فهو حلال، فكيف اذا تورعوا عن الإشارة والمعاونة وعن الأكل منه؟

وكذلك كان النبي ﷺ يتورع عن التمرة يجدها في بيته، فأخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ : «كخ.. كخ» ليطرحها ثم قال: «ما شعرت اننا لا نأكل الصدقة» (رواه البخاري ومسلم)، وهذا فيه منع الولد أو الحفيد من أخذ التمر الذي لا يجوز له أكله مع انه صبي صغير غير مكلف، واما قصته ﷺ في التمرة يجدها فقد اخرجها البخاري ومسلم ايضا انه قال ﷺ : «اني لأنقلب الى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها ثم أخشى ان تكون صدقة فألقيها» أي لا يأكلها مع انه جائع.

ذنوب كبيرة

الخيانة

قال الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)، قال الواحدي، رحمه الله تعالى: نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما حصرهم، وكان أهله وولده فيهم، فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه: أي إنه الذبح، فلا تفعلوا، فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله، وقوله: (وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) عطف على النهي، أي ولا تخونوا أماناتكم، قال ابن عباس: الأمانات: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، يعني الفرائض، يقول: لا تنقضوها، قال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما، وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه، إن شاء خانها وإن شاء أداها، لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، وقوله: (وأنتم تعلمون) أنها أمانة من غير شبهة، وقال تعالى: (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) أي لا يرشد كيد من خان أمانته وأنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية، وقال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»، وقال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك».

وفي الحديث أيضا «يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب» وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه» وفيه أيضا: «أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة، ورُب مُصل لا خير فيه»، وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة».

غزوات الرسول

غزوة الخندق (الأحزاب)
سؤال السنة الخامسة من الهجرة

لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير عن المدينة، سار جمع من رجالاتهم، منهم سيدهم حُيي بن أخطب النضري، وعظيمهم سلام بن مشكم، ورئيسهم كنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبوعامر الفاسق، الى ان قدموا مكة المكرمة على قريش، يدعونهم ويحرضونهم على حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله.
فقال أبوسفيان: مرحبا وأهلا وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد لكن لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن إليكم. ففعلوا فقالت قريش لأولئك اليهود: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا أفديننا خير أم دين محمد؟
فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى سبيلا، لأنكم تعظمون البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن، وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم.
وقول اليهود هذا يخالف عقيدتهم ودينهم الداعي الى عبادة الله الواحد.
والذين قالوا لقريش هذا، هم سادة اليهود وزعماؤهم وعلماؤهم فهم يمثلون قومهم كافة.
وسُرت قريش بما قال وفد اليهود، ونشطهم لما دعوهم اليه من حرب رسول الله ﷺ، ثم سار أولئك النفر من اليهود الى غطفان من قيس عيدان ودعوهم وحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ، وقالوا لهم: إنا سنكون معكم، وإن قريشا قد بايعوهم على ذلك وجعلوا لهم تحريضا على الخروج نصف تمر خيبر كل عام.
وتجهزت قريش وأتباعها من القبائل، وتجهزت غطفان وأتباعها، وقاد قريش أبوسفيان بن حرب وكانوا 4 آلاف، ومعهم 300 فرس و1500 بعير. وقاد غطفان عُيينة بن حصن الفزاري وهم ألف، وقاد بني مرة وهم 400 الحارث بن عوف بن حارثة المري، وقاد بني أشجع ابومسعود بن رُخيلة، وقاد بني سليم وهم 700 سفيان بن عبد شمس، وقاد بني أسد طليحة بن خويلد الأسدي.
وكانت أشجع وبنو أسد تتمة العشرة آلاف، وكان أبوسفيان القائد العام لهذه الجموع، وهو المدبر لأمرها، والقائم بشأنها، وسار بهم متجها نحو المدينة ليستأصل محمدا وصحبه ودينه.
فلما سمع رسول الله ﷺ بما أجمعوا عليه، دعا الناس وأخبرهم وشاورهم في أمرهم: «هل نبرز من المدينة أو نكون فيها؟ فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل وإذا حوصرنا خندقنا علينا. أعجب الجميع بالفكرة.

● الشيخ سيد الرفاعي